



خطبة صلاة الجمعة 9 / 2 / 2018 للشيخ الطبيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

(وافعلوا الخير)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيِّ اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج:

[77]

وقال سبحانه: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ

الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104]

وقال سبحانه: ﴿وَلِكُلِّ وُجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيَهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 148]

روى الإمام مالك في الموطأ: بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فَعَلَ الْخَيْرَاتِ، وترك المنكرات، وحب المساكين، وإذا أردت بقوم فتنة فأقبضني إليك غير مفتون».

روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«على كُلِّ مسلمٍ صدقة»، قيل: أرأيت إن لم يجِدْ؟ قال: «يَعْمَلُ بِيَدَيْهِ، فيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ» قال:

أرأيت إن لم يَسْتَطِعْ؟ قال: «يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ»، قال: قيل له: أرأيت إن لم يَسْتَطِعْ؟ قال: «يَأْمُرُ

بِالمَعْرُوفِ، أو الْخَيْرِ»، قال: أرأيت إن لم يَفْعَلْ؟ قال: «يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ».

عنوان خطبة اليوم: وافعلوا الخير.

أيها الإخوة:

في مطلع الأسبوع المنصرم دعيتي جمعية البركة للقاء تسلّم فيه الشهادات لأكثر من مائة شاب وفتاة تدربوا وتدرّبن على مهن مختلفة كصيانة الجوال وقص الشعر والمحاسبة والتصميم الإعلاني وأهم ما يتعلمونه فضلاً عن فنون الحرفة وتقنياتها وزيادة على تسلّم عدد منهم لمعداتها يتعلمون أخلاقيات هذه المهنة، ما يحل وما لا يحل وما يجمل وما لا يجمل.

وقف شاب من المستفيدين في مهنة صيانة الجوال يتحدث عن مواقف جرت معه في سوق العمل بعد تخرجه في الجمعية فقال: جاءته امرأة تريد إصلاح جهازها المحمول لأن شاشة اللمس فيه لا تعمل، وتوقع الشاب أن الشاشة تحتاج لتبديل ويترتب على الزبونة دفع ثلاثين ألفاً أو أكثر إن احتاجت لذلك، ووافقت الزبونة، وطلب إليها مراجعته من الغد، فلما عادت سلمها الجهاز سليماً وقد زال عطبه، فدفعت إليه المال وشكرته، لكنها تفاجأت عندما رد لها المال وقال إنه عندما فتح الجهاز وجد اللوحة سليمة ولكن شيئاً من التكلس قد أصاب نقاط الاتصال في الملامس، ولم يحتج الأمر منه إلا لتنظيف هذه التكلسات وعاد الجهاز للعمل وبناء على ذلك فلن يتقاضى إلا أجرة فتح الجهاز وتنظيفه وهو ما يساوي ألف أو الألفي ليرة وحسب.

يقول الشاب: من ذلك اليوم والزبونة ترسل لي أقاربها وأرحامها الذين يريدون إصلاح أجهزتهم المحمولة لثقتها بي.

رأيت في كلام هذا الشاب المتخرج آية قرآنية تتكلم ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ

حَيْثُ لَا يَحْسَبُ﴾ [الطلاق: 2، 3] والتقوى أن تحكم شرع الله تعالى في سائر معاملتك.

وقفت سيدة فاضلة متحدثة باسم المستفيدات من مهنة قص الشعر لتقول إنها استفادت من أخلاقيات العمل التي تعلمتها في البركة وقصت علينا قصة زبونة جاءتها تطلب صبغ شعرها بنوع من الصباغ جلبته معها لكن الأخت الكريمة لم ترض أن تفعل وأخبرتها أن هذه الصبغة تعطي نتيجة سريعة خلال عشرين دقيقة وهذا ما تحبه الزبونات ولكنها تؤدي إلى تساقط الشعر فيما بعد والعمل في هذه الصبغة لا يجوز لأنه يضر الزبونات .

رأيت في كلام هذه الأخت الفاضلة حديثاً نبوياً يقول: «لا ضرر ولا ضرار» [الموطأ].

إن الأمل – أيها الإخوة – يولد من وسط الألم، وإنا وإن كنا نتألم لمصاب هذه البلدة والبلاء الذي نزل بنا لكن فعل الخير يولد الأمل ويرفع الغمم.

وفي وسط الأسبوع دعيتي دار الرحمة لكفالة الأيتام التابعة لجمعية الأنصار الخيرية لألقي درساً على الأطفال الأيتام فذهبت، وألقيت عليهم درسي وألقوا على دروساً، رأيت نظافة المكان وأناقة الأطفال ورتابة غرف المعيشة، رأيت المشرفات الكريمات يحطن الأطفال بالحنان ويضممنهم ضم الأم لابنها، وزعوا الأطفال على بيوت داخل الدار فلكل عشرة أو نحو ذلك أم ولهم خالة، أسرة وثيرة ورفوف كتب جميلة ومصنوعات يدوية جميلة، ومديرة الدار ماما أمل ومديرة الدار الأخرى ماما براءة ومدير الدار الثالثة عمو عمر.

يسوون صفوف الصلاة إذا قامت ويغدون إلى مقاعد الدراسة إذا نادت ويمرحون في الاستراحة إذا حانت.

امتألاً القلب طمأنينة وأنا أحدثهم ونزلت علي السكينة وأنا فيهم وزال الهم عني عندما تحلقوا حولي يريدون التقاط صورة جماعية.

إن الأمل - أيها الإخوة - يولد من وسط الألم، وأنا وإن كنا نتألم لمصاب هذه البلدة والبلاء الذي نزل بنا لكن فعل الخير يولد الأمل ويرفع الغم.

وفي نهاية الأسبوع دعيتي جمعية حفظ النعمة لألقي محاضرة على العاملين والعاملات فليبت، وذهبت لأعلم فتعلمت، رأيت شباباً ونساء يعملون في صناعة الثياب قاعة الرجال فيها طاولة القص وطاولة والمستودع، وقاعة النساء فيها ماكينات الخياطة الحديثة وغرفة خاصة بالمصممة وصالة لبيع المنتجات للعموم فيها من ألبسة الأطفال والنساء والفتيات.

استمع الجميع لمحاضرتي وعيونهم تقول هل من مزيد وعقولهم متطلعة للفوائد وقلوبهم تشواق للعوائد، نظافة المكان تحدثك عن ساكنيه ورتابة الهدام تخبرك عن لابسيه وبساطة اللقاء والوداع تنبيك أن القوم هنا موجودون لفعل الخير.

إن الأمل - أيها الإخوة - يولد من وسط الألم، وأنا وإن كنا نتألم لمصاب هذه البلدة والبلاء الذي نزل بنا لكن فعل الخير يولد الأمل ويرفع الغم.

أيها الإخوة:

إني رأيت الصخر الأصم يتفجر منه الماء، ورأيت الليل البهيم يسفر عن الضياء، ورأيت مخاض الموت يعارك مخاض الحياة فيستهل الوليد وتضع النساء.

إني رأيت الأمل الشديد يعتصر الأمل الوليد، ورأيت فرعون الكفر يحتضن في بيته النبي صلى الله عليه وسلم، ومن بطن الخندق جاءت بشارات فتح فارس والروم وحمير.

إننا وإن كنا نعيش آلاماً تمر على هذه البلدة وأهلها فإن الأمل كبير ما فعلنا الخير وبذلنا الخير ودللنا على الخير وعلمنا الخير.

إن هذه الجمعيات الخيرية المباركة وأشباهاها أنتم أنشأتموها وأبناؤكم حملوها وأموالكم وأوقاتكم من أجلها بذلتموها فطبتم وطاب مسعاكم وجزاكم الله الخير كله وأفاض عليكم الخير كله وعجل لنا جميعاً بالفرج وجعله محفوفاً بالطفاه.

أخرج الطبراني بسند ضعيف عن زيد الخير قال: قلت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يا رسول الله، لتخبرني: ما علامة الله فيمن يريد، وما علامته فيمن لا يريد؟ قال لي: **«كيف أصبحت يا زيد؟»** قلت: أصبحت أحب الخير وأهله، وإن قدرت عليه بادرت إليه، وإن فاتني حزنت عليه، وحننت إليه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«فتلك علامة الله فيمن يريد، ولو أرادك لغيرها لهيأك لها»**.

والصحابي راوي هذا الحديث كان اسمه زيد الخيل فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير وهو زيد بن مهلهل الطائي. كان معروفاً بالكرم والشجاعة وبذل الخير لقومه وكان إلى ذلك شاعراً محسناً وخطيباً لسنناً. قدم على النبي صلى الله عليه وسلم - في وفد طيء سنة تسع، فأسلم وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير. وقال له: **«ما وصف لي أحد في الجاهلية فرأيت في الإسلام إلا رأيت في دون الصفة غيرك»**.

وكم لقب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من أصحابه بالخير لمحبتته صلى الله عليه وسلم بالخير وأهله فهذا زيد الخير وذاك طلحة الخير وآخر سعد الخير.

أيها الإخوة:

ما استطعتم أن تفعلوا الخير فافعلوه فوالله ليس أحدنا يفيد من حياته بعد الإيمان إلا فعل الخير، واعلموا أن أبواب الخير كثيرة فلا يقعدن أحدكم من دون خير فصلة الرّحم عمل خير، وقضاء حاجات الخلق عمل خير، وتعليم القرآن عمل خير، والصّلاة، وكفالة اليتيم، وبرّ الوالدين، وإكرام الضّيف، والإصلاح بين النّاس، ورعاية الجار، والصوم، وزيارة أهل الخير، والحبّ في الله، والصّدقات،

وعيادة المريض، وإتقان العمل، وتوقير العلماء، ورعاية الزوج والزوجة، وذكر الله والشفاعة، وستر عورات المسلمين، ونصرة المظلوم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عمل خير.

كان سيدنا عبد الله ابن مسعود ينادي: (السرائر السرائر التي يخفين على الناس، وهن عند الله بواد، فإن الخير لا يبلى، والشر لا ينسى، والديان لا يموت).

واعلموا أن الدلالة على الخير خير، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل يستحمه، فلم يجد عنده ما يتحمه، فdle على آخر فحمه، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال: **«الدال على الخير كفاعله»** [الترمذي].

واعلموا أن تعليم الخير خير، فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: «ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم رجلان: أحدهما عابد، والآخر عالم، فقال: **«فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم»**، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها، والحيتان في البحر يصلون على معلم الناس الخير»** وخير عبد علم الخير سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

فإلى الخير امضوا يا أهل الشام وعليه اجتمعوا ومن أجله عيشوا.

والحمد لله رب العالمين